الزّنابق

أيمن العتوم

إلى ميسون التي لا تأتي . . .

مُحالٌ أن تنطقَ الأمكنة . . . أو يعودَ الزمن . . .

ليس في الفجيعة ما هو أَمَرُّ من الهَجْر ، وأقسى من الفراق . . .

آه . . . ليــتكِ تُدركين كم هو صــعبٌ أن يعــيشَ الإنسان وحيدًا . . .

أيمن . . .

حَبِيْبَتِي... كَيْفَ أَنْسَى؟!

مِنْ بَعْضِ نُورِكِ هذَا الصُّـــبْحُ يَأْتَلِقُ
مَنْ كَـانَ يُدْرِكُ أَنّي فِـيكِ أَحْـتَـرِقُ؟!
وَمَـنْ تَـرَاءَى لَـهُ أَنِّـي عَـلَـى قَـــــدَرٍ
في بَحْـرِ حُـبِّكِ قَـدْ أَغْـرَى بِيَ الغَـرَقُ؟!
فَـــرُحْتُ أَسْـــبَحُ وَالأَمْـــوَاجُ تَبْلَعُنِي
وَلَـمْ أَزَلْ بكِ يَا «مَـــيْـــسُـــونُ» أَنْطَلِقُ
مُـــدِّي إِليَّ يَدًا لَوْ لامَـــسَتْ نَزَقِي
لأَسْكَرَتْنِي وَلَـمْ يَعْـــبَثْ بِيَ النَّزَقُ
نُثَـــارَةٌ أَنَا في قَـــفْـــرٍ تُصَـــرِّفُنِي
هَذِي العُـيُـونُ ، وَتَهْـوَى قَـتْلِيَ الحَـدَقُ
أَرِقْتُ حَـتَّى حَـسِـبْتُ اللَّيْلَ يَعْـشَـقُنِي
وَلَـمْ يَزَلْ يَتَـــمَـــشَّى في دَمِي الأَرَقُ

فَــلا تَزِيدي هُمُــومِي الأَلْفَ وَاحِــدَةً
يَكْفِي الذي لا يَمُــوتُ الخَــوْفُ وَالقَلَقُ
يَا وَجْـهَ «مَـيْـسُـونَ» مَـا زَالَتْ مَـوَاجِـعُنَا
شَـيْـئًـا يُدَاعِبُ أَحْـشَـائِي وَيَخْـتَـرِقُ
وَلَـسْتُ بَـعْـــدَكِ أَهْوَى ، كُـلُّ فَـــاتِنَةٍ
بَعْضٌ مِنَ الخَـــزَفِ اللَّمَّـــاعِ أَوْ وَرَقُ
وَكُلَّ مَـا كَـتَـبُـوا فِي العِـشْقِ أَنْسَـخُـهُ
وَأَنْسَخُ العِـشْقَ وَالخَـيْـرَى وَمَنْ عَـشِـقُـوا
«مَـيْسُونُ ، مَـيْسُونُ» أَنْتِ الحُبُّ أَجْـمَـعُـهُ
فَـقَـبْلَ حُـبِّكِ شِـعْـرِي فِي الهَـوَى مِـزَقُ!!
أُسْطُورَةٌ أَنْتِ لَمْ أُدْرِكْ مَـــجَـــاهِلَهَـــا
وَكَـــيْفَ يُدْرِكُ مَـــهْـــوَى الكَوْكَبِ الأُفُقُ

***

حَبِيبَتِي لَوْ مَشَتْ فِي الأَرْضِ لانْتَفَضَتْ
زَهْوَاً بِـهَـــــا وَلَـرَاحَ الـرَّوْضُ يَـصْطَـفِقُ

تَوَرَّدَتْ خَـــجَـــلاً ، وَالوَجْـــهُ مُـــؤْتَلِقُ

فَكَيْفَ فِـيـهِ تَلاقَى الصُّـبْحُ والشَّـفَقُ؟!

عَـضَّتْ عَلَى شَـفَـتَـيْـهَـا وَهْيَ مَـا عَلِمَتْ

قَلْبي الْمُعَـذَّبَ عَـضَّتْ فَـهْـوَ يَخْـتَنِقُ

لا تَطْلُبي الشِّـعْـرَ مِني كَـيْفَ تَطْلُبُـهُ

مَنْ أَبْدَعَـتْـهُ؟! وَمِنْ كَـفَّـيْكِ يَنْبَـثِقُ

وَلا تَقُـولي بِأَنَّ الشِّـعْـرَ يَسْـحَـرُنِي

فَـمِنْ جُـفُـونِكِ هَذَا السِّـحْـرَ أَسْـتَـرِقُ

مَـاذَا تُفِـيْـدُ عِـبَـارَاتِي ، وَقَـدْ بَلِيَتْ

لَوْلاكِ؟! فَـهْيَ جَـدِيبٌ مُـوحِشٌ خَلِقُ

لَـمْ أَقْضِ حَـقَّكِ شِـعْـرًا فـهـو يَطْلُبُنِي

مَـتَى تُرَى مِنْ دُيونِ العِـشْقِ أَنْعَـتِقُ؟!

أَنَا الذي تَعْـتَـرِيْنِي رِعْـشَـةٌ أَبَدًا

وَفِى الجَـوَى تَسْكُنُ الآهَاتُ وَالحُـرَقُ

وَبَحْـرُ حُـبِّكِ طُوفَـانٌ يُحَـاصِـرُنِي

وَلَيْس يُبْـقِي عَلَيَّ الوَابِلُ الغَـدِقُ

مُــعَــذَّبٌ كُلَّ حَــالاتِي وَمُــضْطَرِبٌ
فَــهَلْ تَكُونينَ مِــمَّنْ فِيَّ قَــدْ رَفِــقُــوا؟!

***

حَبِيبَتي كَيْفَ أَنْسَى الدَّهْرَ جَمْعَتَنَا
وَلي بهَــا الوَرْدُ وَالرَّيْحَــانُ وَالعَــبَقُ
في البَالِ . . . في البَالِ وَالأَفْكَارُ تَنْبِشُنِي
وَلَــسْــتُ اَمَــنُ أَفْــكَــارِي وَلا أَثِــقُ
فَــإِنْ أَكُنْ ذُبْتُ حُــبًّــا فِــيكِ يَا قَــدَرِي
فَلَيْسَ لِلقَلْبِ إلا الوَهْمُ وَالرَّهَقُ
وَلَيْسَ لِلرُّوحِ إلا اللَّيْلُ تَسْكُنُهُ
وَلَمْ يَمُتْ بَعْدَ إِدْبَارِ الضُّحَى الغَسَقُ
مَتَى أُبَعْثِرُ يَا «مَيْسُونُ» أَمْتِعَتِي
وَأَسْتَرِيحُ ، فَقَدْ مَلَّتْنِيَ الطُّرُقُ؟!

إربد

١٩٩٥/١٢/٢٤م

كَفَرَ الحُزْنُ !!

كُلُّ لَيْلٍ يَغْـتَـالُ بَعْـدَك فَـجْـرَا
فَـاصْـحَبِ اللَّيْلَ ، صَـارَ لَيْلُكَ دَهْرَا
آخِـرُ العُـمْـرِ أَنْ تَمُـوتَ وَحِـيْـدًا
وَسَـتَـبْـقَى الجُـمُـوعُ بَعْـدَكَ سَكْرَى
لَمْ تُصَـاحِـبْكَ هَجْـعَـةُ الحُـزْنِ حُـبَّـاً
إِنَّمَـا صَـاحَـبَـتْكَ كُـرْهًا وَكُـفْـرَا
كَـفَـرَ الحُـزْنُ بِاعْـتِـقَـادِكَ فِـيْـهِ
فَلِمَـاذَا تُصَـاحِبُ الحُـزْنَ كِـبْـرَا؟!
لا تَقُلْ تَحْـمِلُ الفُـؤَادَ حَـزِيْنًا
بَلْ طَرُوبًا ، وَبِالبَـشَـاشَـةِ أَحْـرَى
فَـاتْرُكِ اللَّيْلَ كَيْ يَمُـدَّ ظِلالاً
مِنْ سَـوَادٍ عَلَى الصَّـبَـاحِ وَنَشْـرَا

وَاقْــبَلِ الأَمْــرَ وَاقِــعًــا وَاسْــتَطِبْــهُ
بَعْـدَ حِـيْنٍ سَـتَـقْـبَلُ الأَمْـرَ قَـسْـرَا
تَحْــمِلُ الهَمَّ في العُــيُــونِ فَــمَــاذَا
سَــيَــزِيْدُ العُــيُــونَ هَمُّكَ ذُعْــرَا؟!
ذُعْــرُكَ العُــمْــرَ لَمْ تَكُنْ ذَاتَ يَوْمٍ
تَجِــــــدُ الأَمْنَ وَالمَوَاجِعُ تَتْــــــرَى
سَكَبَ اللَّيْلُ في جُــفُــونِكَ جَــمْــرًا
فَاسْتَحالَتْ مُناكَ في الصُّبْحِ صِفْرَا
كُــتِبَ البُــؤْسُ وَالشَّــقَــاءُ لِقَلْبِي
وَعَلَى الرُّوْحِ أَنْ تَجُــــوعَ وَتَعْــــرَى
تَائِهٌ في بِحَــارِ عُــمْــرٍ شَــقِيٍّ
وسَـيَـشْـقَى الذي سَـيُـرْزَقُ عُـمْـرَا!!
وَعُــيُــونِي مِنَ الأَسَى دَامِــيــاتٌ
وَفُــؤَادِي مِنَ اللَّظَى صَــارَ جَــمْــرَا
يَفْــرَحُ النَّاسُ بِالحَــيَــاةِ مِــرَاحًــا
وَجَـمِـيْـعَـاً في سِـجْنِهَـا نَحْنُ أَسْـرَى

سَـــوْفَ يَأْتِي زَمَـــانُ مَـــوْتِ عَلَيْـــهِمْ
يَحْـــمِلُ النَّعْشَ ثُمَّ يَحْـــفِـــرُ قَـــبْـــرَا
وَسَـــيَـــفْنَى الذينَ عَـــاشُـــوا وَزَالُوا
وَلِمِثْلِي الخُلُودُ فِكْرًا وشِـــــعْـــــرَا

إربد

١٩٩٥/١٢/٢٦م

مَكَانَكِ تُحْمَدِي

أَحَبِيْبَتِي . . .
لا شَيْءَ . . . هُجْرَانِي انْتَهَى
وَأَنَا – وَ إِنْ كَابَرْتُ –
مَسْجُونٌ بِعَالَمِكِ الفَسِيحِ
الآنَ يَكْشِفُنِي وُضُوحِي
الآنَ أَبْسُطُ كُلَّ أَوْرَاقِ اعْتِرَافَاتِي
وَأَبْدَأُ مِنْ جُروحِي
فَاللَّيْلُ يَغْتَالُ الشُّمُوعَ أَصَابِعِي
وَلَقَدْ أُوَافِيْهِ . . .
وَمَا فِي اللَّيْلِ مَنْ يَحْنُو عَلَي الهَمِّ النَّضُوحِ
وَأَنَا كَعُصْفُورٍ ذَبِيْحِ
مَنْ تَأخُذُ المَذْبُوحَ . . . مَنْ تَأْسَى عَلَيْهِ . . .

وَمَن تُغَنِّي الحُزْنَ لِلجَسَدِ الطَّرِيحِ؟!!!
مَنْ تَقْرَأُ الأَيَّامَ في كَفِّي . . .
وَمَنْ تَبْكِي عَلَي قَلْبِي . . .
وَتَبْتَدِىءُ الصَّلاةَ عَلَى ضَرِيْحِي
لَوْ يَقْرَأُ العُشَّاقُ أَحْزَانِي لَهَانَ عَلَيْهِمُ
أَسْقَامُ «أَيُّوبِ» وَآلامُ «المَسِيحِ»

***

أَحَبَيْبَتِي . . .
لَيْلانِ بَعْدَ قَصِيدَتِي
وَلَسَوْفَ أَبْتَدِىءُ الكَآبَةَ في دِمَائِي . . .
أَسْتَثِيْرُ النَّزْفَ فِيْهَا
ثُمَّ أَكْتُبُ مِنْ قُرُوحِي
لا تَذْكُرِي عَنَتِي وَلا بُؤْسِي
وَلا جَبَلاً مِنَ الأَحْزَانِ قَدْ حَمَلَتْهُ رُوحِي
مَنْ كَانَ مِثْلِي . . .

في سَجُونِ العُمْرِ يَقْتَاتُ الدُّجَى
وَيَفِيْضُ عَنْ تَعسٍ طَمُوحِ
مَنْ كَانَ مِثْلِي . . .
حِينَ يَسْتَأْنِي لَهُ التَّارِيخُ
كَيْمَا يَكْتُبَ التَّارِيْخَ بِالحَرْفِ الصَّحِيحِ؟!
فَتَخَيَّلِي . . .
أَنِّي عَلَى بَوَّابَةِ التَّارِيْخِ أُدْخِلُ مَنْ أَشَاءُ
وَمَا أَشَاءُ
وَتِلْكَ أَوَّلُ مَرَّةٍ
أَبْدُو كَذِي قَلْبٍ شَحِيحِ

***

أَحَبِيبَتِي . . .
سَأَمُرُّ فَانْتظِري المَسَاءَ
فَقَدْ أَجِيْءُ إِلَيْكِ بالقَلْبِ الجَمُوحِ
لِتُخَلِّصِينِي مِنْ عَذَابَاتِي وَآثَامِ الهَوَى

لِتُخَلِّصِيني مِنْ جُنُوحِي
وَعَلَى جِدَارِ الصَّمْتِ تَبْتَدِئِينَ أُغْنِيَتِي
«مَكَانَكِ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيْحِي»

إربد

١٩٩٦/١/٣م

تَائِهٌ مِثْلَ جَرَاحِي

في رحلة العودة من العمرة ، وفي الجهراء قبيل تيماء في شمال السعودية ، وفي الليل الدامس والبرد القارس والصحراء الشاسعة كانت هذه الكلمات . . .

هَا أَنَا الآن أَيَا مَيْسُونُ مَصْلُوبٌ عَلَي بَحْرِ الرِّمَالْ
هَذِهِ الصَّحْرَاءُ لا تَعْرِفُ غَيْرِي
وَالرِّيَاحُ السُّودُ لا تَعْرِفُ غَيْرِي
وَأَنَا أَلْقَيْتُ فِيْهِنَّ الرِّحَالْ
خَلْفِيَ الرَّمْلُ . . . أَمَامِي . . .
وَيَمِيْنِي . . . وَالشِّمَالْ
أَنَا لا أَكْتُبُ شِعْرِي فَوْقَهُ
لَكِنَّنِي أَدْرَكْتُ أَنَّ الحُبَّ مِثْلُ الرَّمْلِ
بَحْرٌ وَاسِعٌ يَمْتَدُّ فِي أُفْقِ الظَّلامِ
آهِ يَا مَيْسُونُ لَوْ تَدْرِينَ أَنِّي

وَاقِفٌ وَالبَرْدُ يَغْتَالُ عِظَامِي
وَأَنَا أَرْجُفُ مِثْلَ الوَرَقِ الأَصْفَرِ في عَصْفِ الرِّيَاحِ
وَإِلى أَيْنَ غُدُوِّي . . .
وَإِلى أَيْنَ رَوَاحِي؟!
تَائِهٌ مِثْلَ جِرَاحِي
لَمْ أَعُدْ أَذْكُرُ إِلاَّكِ وَإِنْ لَمْ يُسْعِفِ الذِّهْنُ
وَإِنْ عَزَّ المَنَالْ
أَنْتِ يَا مَيْسُونُ مِنِّي
خَفْقَةٌ فِي القَلْبِ حَيْرَي
دَمْعَةٌ فِي الخَدِّ حَرَّى
وَجَوَابٌ وَسؤَالْ
آهِ يَا مَيْسُونُ وَحْدِي
غَيْرَ أَوْهَامٍ وَأَحْلامٍ ثِقَالْ
مَنْ تُرى عَلَّمَنِي فِيْكِ الهَوَى
وَمَنِ السَّاحِرُ والمَسْحُورُ وَالشَّاعِرُ؟!
يَا أَحْلَى كَلامٍ قِيْلَ . . .

أَوْ أَحْلَى كَلامٍ سَيُقَالْ
سَوْفَ أَفْدِيكِ بِشِعْرِي وَبِلَحْنِي
أَعْصِرُ القَلْبَ لأَجْلِ البَسْمَةِ السَّكْرَى
كَمَا يُعْصَرُ جَوْفُ البُرْتَقَالْ
أَنَا لا أَسْلُكُ دَرْبًا وَاقِعِيّاً
لِتَكُونِي لِيَ وَحْدِي
إِنَّنِي أَسْلُكُ آفَاقَ الخَيَالْ
وَأَنَا – مَا عِشْتُ – لا أَرْتَادُ دَرْبًا مُمْكِنًا
إِنَّنِي أَرْتَادُ يَا رُوحِي المُحَالْ
فَاقْرَئِي عَنِّي تَبَارِيْحِي
وَقُولِي أَيُّهَا الشَّاعِرُ المَجْرُوحُ عَنِّي
وَاسْتَبِيحِي
دَمِيَ الدَّافِىءَ والدَّمْعَ وَأَشْوَاقِي الطِّوَالْ
عَذِّبِيْنِي
لِيَ بَعْدَ الغسَقِ الدَّامِسِ أَنْ أَسْأَلَ رَبِّي
كَيْفَ أَحْبَبْتُكِ . . .؟!